تفسير إبن كثير

وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) أي : لما كان بينهم من العداوة والبغضاء فإن الأنصار كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية ، بين الأوس والخزرج ، وأمور يلزم منها التسلسل في الشر ، حتى قطع الله ذلك بنور الإيمان ، كما قال تعالى : (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) [آل عمران : 103] .وفي الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما خطب الأنصار في شأن غنائم حنين قال لهم : يا معشر الأنصار ، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمن .ولهذا قال تعالى : (ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) أي : عزيز الجناب ، فلا يخيب رجاء من توكل عليه ، حكيم في أفعاله وأحكامه .قال الحافظ أبو

بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد االله الحافظ ، أنبأنا علي بن بشر الصيرفي القزويني في منزلنا ، أنبأنا أبو عبد االله محمد بن الحسن القنديلي الإستراباذي ، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن النعمان الصفار ، حدثنا ميمون بن الحكم ، حدثنا بكر بن الشرود ، عن محمد بن مسلم الطائفي ، عن إبراهيم بن ميسرة ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : قرابة الرحم تقطع ، ومنة النعمة تكفر ، ولم ير مثل تقارب القلوب ؛ يقول االله تعالى : (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) وذلك موجود في الشعر :إذا مت ذو القربى إليك برحمه فغشك واستغنى فليس بذي رحم ولكن ذا القربى الذي إن دعوتهأجاب ومن يرمي العدو الذي ترميقال : ومن ذلك قول القائل :ولقد صحبت الناس ثم سبرتهم وبلوت ما وصلوا من الأسبابفإذا القرابة لا تقرب قاطعا وإذا المودة أقرب الأسبابقال البيهقي : لا أدري هذا موصول بكلام ابن عباس ، أو هو من قول من دونه من الرواة ؟ .وقال أبو إسحاق السبيعي ، عن أبي الأحوص ، عن عبد االله بن مسعود - رضي االله عنه - سمعته يقول : (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) الآية ، قال : هم المتحابون في االله ، وفي رواية : نزلت في المتحابين في االله .رواه النسائي والحاكم في

مستدركه ، وقال : صحيح .وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : إن الرحم لتقطع ، وإن النعمة لتكفر ، وإن االله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء ، ثم قرأ : (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم)رواه الحاكم أيضا .وقال أبو عمرو الأوزاعي : حدثني عبدة بن أبي لبابة ، عن مجاهد - ولقيته فأخذ بيدي فقال : إذا تراءى المتحابان في االله ، فأخذ أحدهما بيد صاحبه ، وضحك إليه ، تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر . قال عبدة : فقلت له : إن هذا ليسير ! فقال : لا تقل ذلك ، فإن االله تعالى يقول : (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) ! . قال عبدة : فعرفت أنه أفقه مني .وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن يمان عن إبراهيم الخوزي عن الوليد بن أبي مغيث ، عن مجاهد قال : إذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما ، قال : قلت لمجاهد : بمصافحة يغفر لهما ؟ فقال مجاهد : أما سمعته يقول : (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن االله ألف بينهم) ؟ فقال الوليد لمجاهد : أنت أعلم مني .وكذا روى طلحة بن مصرف ، عن مجاهد .وقال ابن عون ، عن عمير بن إسحاق قال : كنا نحدث أن أول ما يرفع من الناس - [أو

قال : عن الناس] - الألفة .وقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - رحمه االله - : حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ، حدثنا عبيد االله بن عمر القواريري ، حدثنا سالم بن غيلان ، سمعت جعدا أبا عثمان ، حدثني أبو عثمان النهدي ، عن سلمان الفارسي : أن رسول االله - صلى االله عليه وسلم - قال : إن المسلم إذا لقي أخاه المسلم ، فأخذ بيده ، تحاتت عنهما ذنوبهما ، كما يتحات الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف ، وإلا غفر لهما ولو كانت ذنوبهما مثل زبد البحار .